



التمكين لغةً:

تفعيل من المكان، وهو في الأصل إقرار الشيء وتثبيته في مكان، ثم استئناف الدلالة على التملك والقدرة والسيطرة والتحكم.

أول قضية في فقه التمكين أن نعلم أن التمكين لا يكون أبداً بالسنن الخارقة وإنما يكون بالسنن الجارية (فَلَنْ تَجِدِ لِسْنَتِ اللَّهِ تَبِيَّلًا) قد يحصل التمكين لفرد بالسنن الخارقة ولكن لا يجوز حصول التمكين للجماعة إلا بالسنن الجارية الشرعية منها والكونية.

إن فقه التمكين هو فقه حركي وليس فقه ساكن على الأوراق لذلك كانت ممارساته والإحاطة بخيوطه من الصعوبة بمكان فقه المنهج الرياني في الغالب يسيراً على الفهم ولكن العسير على الغالب هو فقه الحركة به بين النظرية والتطبيق.

ضل الكثير وتابوا بين فقه النصوص وفقه الواقع مزلاً إقدام ومضلة أفهم، التيار الإسلامي يمارس صراعاً جزئياً مع عدو يمارس علينا حرباً شاملة، مما يكسبه بالسياسة يخسره في الجهاد وما يكسبه في الجهاد يخسره في السياسة يسد ثغرة ويفتح ثغور أحادية في التفكير، يتبعه أحادية الاستراتيجية، يتبعه أحادية الممارسة..

لا بد من إدراك مراحل الإسقاط من حالة التمكين إلى وحده الاستضعاف: ليكون البناء عملية معاكسة للخطة الاستعمارية الهادمة – تشويه الفكرة بالدخن والدخل والتشويه للمنهج الرياني – فك ارتباط الأمة بهويتها وسلخها عن عقيدتها، عندها فلا معنى لوجودها المادي وقد ذابت في ثقافة الآخر فقدت هويتها ومنهجها ودينها بالتبسيط والثقافة الغربية – ثم يأتي الغزو الخارجي الذي يقوم به اليوم وكلاء عن الاستعمالي يُكمل السقوط المادي لذلك كانت نقطة بداية التمكين تبدأ بتمكين دين الله في القلب إيماناً وفي العقول فهماً، ونهايته تكون عند (حتى يظهره على الدين كله)، حتى: جر وغاية، وبينهما مراحل تبتلي فيها الجماعة بكل أنواع البلاء ثم يمكن لها ولكن هذا منوط بعدم سقوطها في الشهوة أو الشبهة أثناء خوض مرحلة الابتلاء والتمحیص (ونريد أن نمن على الذين استضعفوا ونجعلهم أئمة ونجعلهم الوارثين)

فقد حرم الله عز وجل التمكين علىبني إسرائيل بعد أن نجاهم من فرعون بسبب سقوطهم في الشهوات والشبهات.

موانع التمكين لبني إسرائيل بعد نجاتهم من فرعون:

- اتباع كل ناعق، كما اتبعوا السامری في عبادة العجل..
- الحنین إلى الماضي برغم ظلامه
- الجدل واللجاج المستمرة، كما جادلوا في قضية البقرة
- التفاسُرُ والخَوْرُ والجُبْنُ وترك الجهاد (إذهب أنت وربك فقاتلا إنا هُنَا قاعدون)

وسائل التمكين طريقين: الدعوة والجهاد ، ولكن المشكلة في اختزال المفاهيم الشاملة ليصبح الجهاد هو القتال مجرد عن

الإعداد ثم تسطيح قضية الإعداد ويكفي بالسلاح التافه الذي يجر الهزيمة فقط كما أن هناك طرف آخر يجعل من الجهاد هو جهاد النفس فقط والدعوة دعاية حزبية مغلفة بدعوة إلى الإسلام ولكن بالمعايير الحزبية للجماعة بعد إنجاز الجانب المادي من المشروع الإسلامي سنكتشف أنه بني على أساسٍ هشٍ من الوهن الأخلاقي والإيماني والمعرفي، مما ينذر بالسقوط في استراتيجية الصراع الوجودي والعودة إلى نقطة الصفر.

والمشكلة أن هذا الوهن الأخلاقي تسرى إلى الصدوف الأولى من رواد التيار الإسلامي في سبيل تحقيق الغايات فعندما تقوم الجماعات الإسلامية بتحقيق مصالحها بعيداً عن هدي المبادئ فإن الثمن الذين يدفعونه هو انحطاط أخلاقهم ثم التوخش الداخلي والتأكل الذاتي فتصبح كثير من الأمنيات تتخذ من أجل مراقبة صدوف الجماعة نفسها المجتمعات التي تحمل أخلاقياً تحول لمجتمعات سلبية تفقد المبادرة وتهيأ لـ**لتَّقْبِيلِ الاستبدادِ لِتَّقَادَ بالقهرِ**، وإلا فالبديل هو الفوضى عند فَقْدِ العقيدة والأخلاق والإرادة تكون الحرية حرية انحلال، وكانت التنمية الأخلاقية والسلوكية صمام أمان المجتمعات المتحركة من نير الاستبداد لكيلا ترسف بأغلال الانحطاط الخلاقي وعبيودية الشهوات..

فما فائدة حُرَيَّةُ الإرادة لقوم لا إرادة لهم إلا إرادة الشهوات! التيار الإسلامي يتوهם أنه يخوض صراع مشاريع، لذلك يسعى لتصفية خصومه من أبناء التيار الإسلامي ممن يُعيقُ مشروعه الحزبي، ولكنه لا يدرى أنه مُسَيَّرٌ في مسار الصراع الوجودي يحتاج فيه لكل الطاقات الكامنة عند الجماعات الأخرى لمواجهة تحدي الفناء المحقق بالجميع لذلك علينا أن ندرك أن القوة تتضاعف لأمة ما عندما تستطيع الموالفة بين الثنائيات المتناقضة على وجه تتفجر منها الطاقة بدلاً من الاصطدام هذا إذا استطعنا أن نحول اختلافاتنا إلى عامل إثراء وتنافس بدلاً من أن يكون عامل صراع، ولكن التيار الإسلامي مغرق في المزايدات المزاييدات بين التيارات الإسلامية يشبه حال من يرفع طوابق البناء على شفا جرف هارٍ، كلما ارتفع بالبناء سيكون السقوط محتملاً ومفعجاً.

تحقيق الشوكة هو من أهم أذرع التمكين والتي تتحقق عندما نوجد حالة من البراء والولاء الجامع للأمة، الولاء المعصب للأمة والبراء المحسن من الدوافع، وإذا اقتصر على الحزب كانت الفتنة والصراع البيني.

فكثيراً ما يشتكي عضو من أعضاء الأمة ولا يتداعى له الجسد بالسهر والحمى، فال المشكلة - إنما أن العضو منفصل عن جسده - وإنما أن يكون الجسد فاقد الإحساس بأخطر قضية في فقه التمكين والتي على أساسها تحدد الجماعة المرحلة التي تحمل بها (هل هي استضعاف أم تمكين) وتحدد على أساسها واجبات هذه المرحلة ففي زمن القوة والمكنة تحمل الأمة على العزائم ويكون الخيار بين الصالح والأصلح، وفي زمن الضعف تُحمل الأمة على الرّخصة ويكون الخيار بين الفاسد والأفسد لذلك كان لإيجاد المحددات والمعايير العلمية ومراكز الابحاث الاستراتيجية التي تدرس نقاط القوة والضعف لدينا ومقارنته بالعدو المصادر لتكون النتيجة حقيقة علمية من أهم المسائل في فقه التمكين.

يجب تحويل فقه التمكين إلى معادلة قابلة للقياس حتى لا تبقى قضية عائمةً يترتب عليها قرار الجهاد وإعلان الخلافة والدولة بشهود أو نزوة لمجموعة فإن بقيت صناعة القرار الجهادي السياسي في يد المشيخات ذات النظرة الأحادية ولم تكن صناعة مراكز أبحاث استراتيجية سيفرقنا بالارتجالية!

فبقاء مسألة الإفتاء في فقه التمكين بإلهامات السياسي وانطباعات المفتى بعيداً عن التفكير والخطيط والقرار الاستراتيجي سيجر علينا تخبطات قاتلة.

قرار تحديد المرحلة ليس قراراً مشيخياً وليس قراراً سياسياً وليس قراراً عسكرياً وليس إقتصادياً بل قد تجتمع معطيات كل

هذه الجوانب في صياغته قياس المَكَنَةِ على دولة المدينة من حيث العدد والعدة والمساحة ووسائل الصراع لتبرير الإدعاء
أننا ممكّنون جهل مكعب .

مشكلتنا في فقه التمكين الفهم الاجتزائي والمناهج الجزئية والعمل الجزئي من فهم أنّ الإسلام سياسة فحسب ضاع بين الأوراق ومن فهم أنّ الإسلام قتال فحسب ضاع بين الكهوف، ومن فهم أنّ الإسلام أرض فحسب ضاع بين الخرائط، ومن فهمه تراثاً فحسب غرق في التاريخ، ومن فهم الإسلام تركيّة فحسب سقط في جَلَ الذات ومن فهم الإسلام عدلاً محضاً أسقط منه الإحسان ومن فهمه فكراً تاً بين تناقضات المناهج .

التمكين دائـر بين الـوعـد والـشـرـطـ، فـالـإـيمـانـ وـالـعـمـلـ الصـالـحـ كـلاـهـماـ شـرـطـ لـازـمـ غـيرـ كـافـ، وـلـكـنـ تـبـقـيـ مشـكـلـةـ تـسـطـيـعـ وـاخـتـزالـ
مـفـهـومـ إـيمـانـ وـالـعـمـلـ الصـالـحـ..

اخـتـزالـ مـعـنـيـ إـيمـانـ فـيـ التـصـدـيقـ الـقـلـبـيـ، وـاخـتـزالـ مـعـنـيـ الـعـمـلـ الصـالـحـ فـيـ الشـعـائـرـ وـبـتـرـ الـعـبـادـاتـ الـاجـتمـاعـيـةـ وـتـرـكـ الـقـيـامـ
بـالـفـرـوـضـ الـكـفـائـيـةـ فـلـاـ يـكـفـيـ الـقـيـامـ بـالـفـرـائـضـ الـعـيـنـيـةـ، لـأـنـ التـمـكـينـ مـدـارـهـ دـائـمـاـ عـلـىـ الـقـيـامـ بـالـفـرـوـضـ الـكـفـائـيـةـ مـنـ
الـاـخـتـصـاصـاتـ الـدـنـيـوـيـةـ حـتـىـ تـُسـاسـ الدـنـيـاـ بـالـدـيـنـ وـتـجـعـلـنـاـ فـيـ اـسـتـغـنـاءـ عـنـ أـعـدـائـنـاـ فـنـحـنـ لـاـ نـزـالـ فـيـ وـسـائـلـ الـصـرـاعـ عـالـةـ عـلـىـ
الـغـرـبـ وـخـصـوصـاـ وـسـائـلـ الـتـوـاـصـلـ الـتـيـ تـكـشـفـ الـكـثـيرـ مـنـ أـورـاقـنـاـ!

لـنـ نـحـقـ شـيـءـ مـنـ التـمـكـينـ وـنـحـنـ نـسـتـورـدـ وـسـائـلـ الـصـرـاعـ مـنـ الـعـدـوـ الـذـيـ نـصـارـعـهـ، وـلـنـ نـرـفـعـ رـاـيـةـ التـوـحـيدـ إـلـاـ بـعـلـومـ الـدـنـيـاـ
وـحـرـاسـةـ الـدـيـنـ بـهـاـ.

غـالـبـ الـمـوـاجـهـاتـ الـتـيـ نـخـوـضـهـاـ لـنـنـصـرـ مـبـادـئـاـ بـوـسـائـلـ غـيرـ ذـاتـيـةـ الـمـصـدـرـ يـتـحـكـمـ فـيـهاـ الـخـصـمـ بـشـكـلـ مـبـاـشـرـ أـوـ غـيرـ
مـبـاـشـرـوـبـدـيرـ مـنـ خـلـالـهـ مـسـارـاتـ الـصـرـاعـ وـتـنـتـهـيـ بـالـهـزـيمـةـ وـتـعـجـبـ مـنـ أـقـوـامـ لـاـ يـقـدـرـ عـلـىـ كـشـفـ وـجـهـهـ وـاسـمـهـ وـمـخـبـهـ
وـيـسـتـجـدـيـ سـلـاحـهـ وـهـاـتـهـ وـسـيـارـتـهـ وـسـاعـتـهـ مـنـ الـغـرـبـ ثـمـ يـدـعـيـ لـنـفـسـهـ أـنـهـ مـنـ الـمـمـكـنـينـ فـيـ الـأـرـضـ وـيـرـيدـ يـعـلـنـ خـلـافـتـهـ مـنـ
الـسـرـدـابـ فـالـأـصـلـ فـيـ مـعـادـلـةـ التـمـكـينـ أـنـ تـقـيـسـ مـاـ تـمـتـلـكـ مـنـ أـدـوـاتـ صـرـاعـ وـنـقـاطـ الـقـوـةـ وـعـقـمـ تـحـالـفـتـكـ مـعـ الـمـحـيـطـ الـمـصـارـعـ
لـلـمـشـرـوـعـ ثـمـ تـخـرـجـ بـنـتـيـجـةـ (ـوـلـيـمـكـنـ لـهـ دـيـنـمـ الـذـيـ اـرـتـضـىـ لـهـ)

الـتـمـكـينـ يـكـونـ لـلـدـيـنـ الـذـيـ اـرـتـضـاهـ اللـهـ تـعـالـىـ، لـاـ بـدـعـ زـيـادـةـ فـيـهـ وـلـاـ نـقـصـانـ، لـاـ تـحـرـيفـ وـلـاـ غـلـوـ.

فـالـمـسـارـ الـرـبـانـيـ شـرـطـ لـلـتـمـكـينـ لـذـلـكـ بـدـأـ صـلـاحـ الـدـيـنـ بـتـصـفـيـةـ الـمـنـهـجـ مـنـ بـدـعـ الـرـوـافـضـ وـقـامـ بـالـإـحـيـاءـ الـسـنـيـ لـيـكـونـ جـهـادـ
الـأـمـةـ عـلـىـ بـصـيـرـةـ وـنـقـاءـ وـلـاـ تـغـرـنـ بـأـحـزـابـ تـدـعـيـ لـنـفـسـهـ صـفـاءـ الـمـنـهـجـ فـيـكـهـمـ إـدـعـاءـ أـنـهـ مـنـاهـجـ حـزـبـيـةـ وـالـعـبـرـةـ بـنـتـائـجـهـاـ
الـكـارـثـيـةـ الـتـيـ جـرـّـتـ الـوـيـلـاتـ عـلـىـ الـأـمـةـ.

مـنـ صـفـاتـ الـمـنـهـجـ الـذـيـ اـرـتـضـاهـ رـبـنـاـ كـمـاـ لـاـ يـنـافـيـهـ الـاجـزـاءـ، اـتـبـاعـ لـاـ يـنـافـيـهـ الـابـتـاعـ، وـاقـعـيـ لـاـ يـنـافـيـهـ الـخـيـالـ.

مراحل التمكين:

1- مرحلة الاستضعاف

2- مرحلة شوكة الحماية

3- مرحلة شوكة النكارة

4- التمكين الكامل، هذه المراحل هي المراحل المتدرجة في القوة والمكنته ورفض الوصول إلى التمكين.

بالتدريج يودي إلى السقوط المؤبد في الضعف كمن جاء ليحمل الناس على الدين جملة واحدة فيتركوه جملة واحدة فمن مجهضات التمكين الاستعجال بقطف الثمر قبل حسن الإن Baptes، ومن استعجل الشيء قبل أوانه عوقب بحرمانه.

فالنصر الاستراتيجي هو سلسلة انتصارات صغيرة، وفي مجالات عديدة ولايمكن أن يقع شيء في مجال النصر والهزيمة بصورة طفرة مفاجئة تباغت المنتصر أو المهزوم وهذا بسبب عدم الاعتبار من التجارب التاريخية فعدم التدبر والاعتبار من التاريخ والتجارب السالفة يجعل هذه التجارب وسيلة للدمار بيد جاهل يقلد منها الأخطاء أو يرفض منها الصواب أحيانا.

في فقه التمكين تحتاج أن تعود خطوات إلى الوراء لكي تستطيع الاستئناف إلى الأمام، كما عاد موسى عليه السلام لطلب العلم بعد النبوة وكما عاد رسول الله صلى الله عليه وسلم من الحديبية بدون أن يعتمر ورجع بمعاهدة صلح فكانت خطوة إلى الخلاف ليكون الاستئناف أكثر فاعلية في الدعوة والجهاد فقد تضاعف عدد المسلمين عشر مرات من الحديبية إلى الفتح.

عدم الاقتناع بهذه الخطوة الخلفية أحيانا قد تودي بالجماعة إلا الانتحار تحت ضغط الحماس.

في الخاتمة: إن التفكير البنائي الصحيح هو أسلوب غير مباشر في نقد الأبنية الفكرية الخاطئة ولكن لصعوبته نميل دائماً للنقد المجرد عن البديل التمكين يحتاج إلى الاحتضان الشعبي للفكرة والمشروع الجماعات الإسلامية.

لن تقدر على فرض معايرها الاجتماعية إلا بما تقدمه للأفراد من نفع وحماية وأمان (أطعهم من جوع وآمنهم من خوف) يجب تفعيل التفكير السببي والتعليلي والنقدi الذي لا يصل إلى الجلد فهو أقرب إلى التمكين من التفكير الظاهري لأنه يعطي القابلية على التصحيح والتجديد والإبداع والاكتشاف (رب أرني كيف تحبي الموتى) (وهزي إليك بجذع النخلة) (ما ترى في خلق الرحمن من تفاوت فارجع البصر هل ترى من فطور ثم ارجع البصر كرتين)

ال المسلمين مغيبون عن الواقع إما بالإغراق في مشاكل التاريخ بعيد أو في أحداث الفتن في آخر الزمان لذلك يضعف تعاطيهم مع الواقع.

عدم التدبر والاعتبار من التاريخ والتجارب السالفة يجعل هذه التجارب وسيلة للدمار بيد جاهل يقلد منها الأخطاء ويرفض منها الصواب.

والله ولي التوفيق.

المصادر: